من كتابات القديس
القمص بيشوي كامل

سمَّروه على خشبة[1]

❁ ❀ ❁

أولًا: معنى المسمار:

(أ) لقد أحْدَثَت المسامير في يديك ورجليك الطاهرتين، يا ربي، أثرًا لن يُمحى من جسدك إلى الأبد. **ربي يسوع،** دعني أنحني كما انحنى بطرس ودخل القبر. دعني أنحني داخل هذه الجراح! سأجد منظرًا رهيبًا: سأجد خطاياي وشهوات قلبي، عندئذ سأتأكَّد تمامًا أنه ليس هناك قوة في الوجود تقدر أن تُسمِّرك على الصليب سوى خطاياي.

أذكُر سيدة، مُحبَّة للمسيح، زرتها في منزلها، فوجدتها قد رسمت صورة كبيرة لقدم السيد المسيح، وواضح فيها المسمار، والجرح فيها كبير. وعندما سألتها عن معنى هذه الصورة، قالت: لكي أرى بوضوح خطاياي، التي سبَّبت هذه الجراح!

(ب) عندما دُقَّ المسمار في الرِّجلين، تفجَّرت ينابيع الدم لغسل خطاياي. إن التأمل في جروح المسامير يدفعني لإدراك أمرين خطيرين؛ الأول: عِظَم خطاياي، والأمر الثاني: هو عِظَم مراحم الله ومحبته للخطاة، ولكن أيضًا قوة الدم في الغفران: «إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا اِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ» (كو٢: ١٤).

ثانيًا: "وبالمسامير التي سُمِّرتَ بها، أنقذ عقولنا من طياشة الأعمال الهيوليَّة" (الأجبية):

ربي يسوع: إن المسامير الذي سُمِّرتَ بها تعني أنك أعطيتني القوة لتسمير طياشة الأعمال الهيوليَّة. أنت تعلم، يا ربي، أن نفسي طائشة، سريعة الحركة والجولان، أفكاري طائشة، أعمالي طائشة، أحلامي طائشة. ميولي جامحة، يا نفسي إلى أين أنتِ سائرة؟

إلهي سمِّر خوفك في قلبي كي لا أخطئ إليك.

سمِّر يديَّ، كي لا تصنعا الشر.

سمِّر رجليَّ، كي لا تذهبا إلى مكانٍ أنت لستَ فيه.

---

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد مارس ١٩٧١.

سمِّر فكري، كي لا يُفكِّر إلَّا فيك.
سمِّر شهواتي، كي لا تشتهي أحدًا إلَّا أنت.

يا نفسي: لقد أعطاكِ يسوع قوة مسامير الصليب، السلاح القوي لضبط أهوائك، فعندما تهيجُ عليك ضعفات، اركعي تحت الصليب لمدة دقائق بسيطة، وتأمَّلي المسمار الذي سمَّر خطاياكِ على الصليب. إن عملية التسمير تحتاج للطرق بالمطرقة بقوة على المسمار. لذلك، يا نفسي، كوني قوية ولا تُهملي الطَّرْق على المسمار بالصلاة، وبالتأمل في مسامير الرب يسوع، حتى تثبت أفكارك فيك، وحتى تنضبط أهواؤك.

ربي يسوع: إن نفسي مُبعثرة، كقطعة أثاث مُفَكَّكة، وتنتظر أن يُثبِّتها النجَّار الماهر في مكانها بالمسامير حتى تصير قوية وسليمة. **يا ربي يسوع،** أيها النجَّار الماهر، إن نفسي مُخلْخلة، وفكري مُشتَّت، وحياتي مُهلْهلة، إنها محتاجة لمسمارك المقدَّس لتُثبِّتها، وتخلق منها نفسًا قوية، كما صنعتَ في حياة القدِّيسين التائبين.

من أجل ذلك يا إلهي:

(أ) سمِّر ذاتي:

إن الجندي الروماني استمرَّ في عمله حتى تأكَّد أن جسد الرب ثَبَتَ تمامًا على الصليب. وأنتِ، يا نفسي، ستظلّين مُخلْخلة ما دامت ذاتكِ لم تثبت على الصليب. هذه الذات المُتمرِّدة، العدو اللدود، التي جعلتْ آدم يحسب ذاته مثل الله حتى طُرد من الجنة، وهي التي طردت نبوخذنصَّر من إنسانيته. إنها الذات المُحبَّة للمديح، والمُحبَّة للسيطرة والظهور والمراكز.

ربي يسوع: سمِّر ذاتي معك على الصليب، لأقول: "مع المسيح صُلبتُ، مع المسيح سُمِّرتُ". آمين، يا ربي، سمِّر كرامتي، سمِّر محبة المديح، سمِّر محبة الظهور، ومحبة السيطرة.

(ب) سمِّر إرادتي:

إلهي يسوع: إن المسمار في جسدك يعني اللاحركة، يعني أنك أسلمتَ ذاتك للإنسان لكي يُقيِّدك بلا حركة على الصليب، ولكن قلبك يقول: «أيها الآب لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لو٢٢: ٤٢)، «لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ» (يو١٩: ١١).

ربي يسوع: أريد أن تذوب إرادتي في إرادتك، وأومن أن كل الأمور تعمل معًا للخير. اجعلني أثق أن ليس لأحدٍ سلطان عليَّ، إن لم يكن قد أُعطي من فوق. أعطِني أن أومن أن شعور رأسي مُحصاة أمامك. ساعدني لأخضع لإرادتك أنت، لا لإرادتي، وأقول كل يوم: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ... لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ» (لو ١١: ٢). والتسليم لإرادتك، معناه احتمال الألم والمرض بدون تذمُّر، فأثق أن المرض ليس له سلطانٌ عليَّ أكثر من تسمير رجليَّ ويديَّ، ولكن روحي ستظل قويَّة وحيَّة بالمسيح.

(ج) سمِّر العالم لي:

«وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل ٦: ١٤). فالصليب قد صَلب العالم لي، أمات العالم لي. فهذا العالم الشرير الذي يسبي كثيرين، أنت قد سمَّرته لي، يا إلهي، إذ قلتَ عنه: «... أَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ» (يو ١٤: ٣٠)، «ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو ١٦: ٣٣). محبة العالم التي أثارت الأخ ضد أخيه، وأقامت الحروب، وأسقطت الأقوياء في الخطية.

هذا العالم بكل سلطانه لم يستطع أن يُغري أنطونيوس، لا بالمال ولا بسيرة النساء.

هذا العالم غلبه أثناسيوس، عندما قالوا له: "العالم كله ضدك يا أثناسيوس"، فردَّ عليهم: "وأنا أيضًا ضد العالم".

هذا العالم الذي غلبه أولاد الملوك مكسيموس ودوماديوس، عندما خلعوا التيجان وألقوها عن الرؤوس.

هذا العالم الذي غلبه أحد القديسين عندما قال: "وضعتُ قدمي على قمة هذا العالم عندما صرتُ لا أشتهي شيئًا ولا أخاف شيئًا".

يا نفسي: ثقي أن يسوع قد غلب العالم لي (يو ١٦: ٣٣)، أما غلبتنا نحن فهي إيماننا بالذي غلب العالم: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهَذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا. مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلاَّ الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟» (١يو ٥: ٤، ٥).

ربي يسوع: يا مَن سمَّرتَ العالم لي، دعني أذوق طعم هذه الآية: «الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل ٦: ١٤). إلهي، يا من فعلتَ في حياة القدِّيسين عَبْر الأجيال،

سمِّر العالم الآن في أعين شبابنا، سمِّر موضات الّلبس أمام بناتنا، سمِّر محبة المال وشهوات العالم أمام شعبك، سمِّر كل إغراءاته أمام الكنيسة.

(د) سمِّر حياتي فيك:

إن النفس البشرية سريعة الحركة، سريعة الجولان في كلِّ الاتجاهات المتضادة، وليس هناك مَنْ يضبطها فيك إلَّا مسامير محبتك التي سُمِّرتَ بها على الصليب.

ربي يسوع، إنني أشكو دائمًا أني غير ثابت في حبِّك، فأحيانا أُحبُّك، ثم تسبيني محبة العالم، وعندما أبحث عن محبتي الأولى لك لا أجدها!

متى، يا ربي، يصبح حبُّك ثابتًا في قلبي؟ أَعطِني في كل مرة أتأمل مساميرك أجد حبَّك مُسمَّرًا في قلبي.

ساعدني لأكون مثل إغناطيوس الشهيد الذي قال: "لا أعتقد أنني أحبُّ سيدي يسوع المسيح دون أن يُسفك دمي كله لأجله".

ربي يسوع، سمِّر حبي فيك، سمِّر إيماني بك، سمِّر نظري إليك، سمِّرني كي لا أرتفع من فرط الكبرياء، سمِّر وداعتك واتضاعك في قلبي.

أين ألتقي يسوع؟

يا نفسي، لماذا تسألين أين تلتقين بيسوع؟ ألستِ تعلمين أن المسمار قد حَدَّد مكان يسوع على الصليب. والطريق الوحيد للقاء يسوع هو أن تتحرَّكي إلى المكان المُسمَّر عليه يسوع، أي إلى الصليب.

ولكي تبقي في ديمومة معه، عليكِ أن ترتفعي معه، بكل ما تمتلكين: بفكركِ، بقلبكِ، بقدرتِكِ، وتُسمِّري ذاتكِ معه. لذلك، يا نفسي، إن لم تتدربي على البقاء حاملة الصليب، فثقي أنك لن تتشرَّفي بالوجود الدائم معه.

يا نفسي: إنَّ احتمالكِ أيَّ ألمٍ أو مرضٍ أو ضيقٍ بشكر يُشعل نار الحب الإلهي فيكِ، ويرفعكِ إلى شركة أمجاد الصليب. وتأكَّدي، يا نفسي، أن هروبكِ من التجارب والألم والضيق، يعني عدم لقائكِ بيسوع، مهما كان منهج عبادتكِ الروحية؛ فالذي لم يذُقْ طعم المسامير، لن يصل إلى يسوع، المُسمَّر على الصليب.

آثار المسامير بعد القيامة:

للمسامير أثرٌ لن يُمحى إلى الأبد في جسد المُخلّص. رآه التلاميذ ففرحوا وملأهم السلام. رآه توما فآمن. نراه الآن بالإيمان، وسنراه في الأبدية بالعيان، فنُدرك أعماق حبِّ الله.

(١) أثر المسامير مصدر فرح:

«وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ» (يو٢٠: ٢٠).

أثر المسامير شهادة أبدية على محبة الرب لنا، وعلامة أبدية لنزول الدم والغفران.

أثر المسامير مصدر فرحٍ وعزاء للنفوس المجروحة والحزينة شريكة آلام الرب يسوع.

أثر المسامير مصدر فرحٍ وقوة للنفوس المُجاهدة في صَلْب الذات وتسمير الشهوات.

(٢) أثر المسامير علاجٌ لمرضى الشكِّ:

عندما تضعف نفوسنا أمام أحداث هذا العالم، أمام بطش شرِّه وانتشاره، يظهر لنا يسوع ويقول: «ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا» (يو٢٠: ٢٧).

عندما تَشُكِّين، يا نفسي، في قدرة النصرة على الخطية، ضعي يدكِ مكان المسمار شهادةً على قوة القيامة.

المسمار في قلب العذراء الأُم:

أيتها القديسة العذراء، مَن ذاق ألم المسمار قدركِ أيتها الأُم؟! إنَّ كلَّ طَرْقة من طَرَقات الجندي الروماني على المسمار، كانت تُدوِّي في قلبكِ.

❖ "أمَّا العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأمَّا أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صلبوتك الذي أنت صابر عليه من أجل الكل، يا ابني وإلهي" (الأجبية، الساعة التاسعة من النهار).

أيتها العذراء، صلِّ عنا، اشفعي فينا أمام ابنك الحبيب، آمين.